الأسرة وانحراف الأحداث

د. بوفولة بوخميس

قسم علم النفس

جامعة باجي مختار- عنابة

ملخص:

يتناول هذا المقال العوامل المؤدية إلى الانحراف والتصنيفات التي وضعها الباحثون له، كما يبحث سيكولوجية الانحراف وأنماط المنحرفين، و يتطرق إلى سمات أسر المنحرفين، والعلاقة بين الأساليب التربوية الخاطئة والانحراف من جهة، وبين اضطراب القيم الأسرية والانحراف من جهة ثانية .

Résumé

Le but de cet article est d'analyser les facteurs qui incitent à la déviance, ainsi que les différentes classifications de cette dernière. Il relatera également la psychologie de l'acte déviant, les types des délinquants, et étudiera les traits caractéristiques de familles des délinquants, et les rapports entre les mauvais styles éducatifs parentaux et la déviance d'une part, et entre les valeurs familiales et la déviance d'autre part.

مقدمة:

تلعب الأسرة دورا كبيرا في تربية ورعاية أبنائها وحمايتهم من الصعوبات التي يتعرضون إليها في حياتهم تؤدي الأسرة عدة وظائف:

-**وظيفة بيولوجية:** تتمثل في الإنجاب.

-**وظيفة نفسية:** إشباع حاجات الأبناء مثل الحاجة إلى الحب، التقدير، الأمن... إلخ.

-**وظيفة اجتماعية:** تعليم الأبناء القيم والمعايير الاجتماعية كما تحدد لهم "دورهم" و"مكانتهم".

-**وظيفة اقتصادية:**تشبع الأسرة حاجات أفرادها للغذاء واللباس والملجأ.

لقد عرفت الأسرة جملة من التغيرات مما قلب كيانها وأصاب تماسكها وأثر سلبا على دورها التربوي. وتتركز التربية في الوسط الجزائري على إعطاء أهمية لقيم المساعدة والتعاون والأخوة والحب والشجاعة والاحترام.

ويتبع الأولياء في تربيتهم عدة أساليب:

-**الأسلوب الديمقراطي:** حيث يظهر الأولياء درجة عليا من الدفء والاستجابة لحاجات الأبناء فيتربى الأطفال على الاستقلالية والإيثار.

-**الأسلوب المتسامح:** حيث يدلّل الأولياء أبناءهم ويعطونهم كل ما يريدونه، فينشأ الأطفال هنا عدوانيين وناقصي نضج في علاقاتهم مع الأقران وفي المدرسة وكذلك يكونون أقل تحملا للمسؤولية وأقل استقلالية.

-**الأسلوب التسلطي:** يكون مستوى التأديب مرتفعا، لكن الدفء والعاطفة نادرين نسبيا، وينتج عن هذا الأسلوب نقص براعة الأطفال في تفاعلهم مع أقرانهم ونقص في تقدير الذات ويظهر بعض الأطفال عدوانية وعلامات عدم التحكم في الذات وأحيانا يكونون متحفظين.

و من جهة أخرى، تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية (خاصة الأسرة) دورا كبيرا في نقل العديد من العناصر الثقافية الأساسية لخلق أفراد أكفاء اجتماعيا. تبدأ التنشئة الاجتماعية مع الأسرة منذ الطفولة، وتتواصل ضمن إطار المؤسسات

والجماعات التي يمر عليها الشخص على مدى حياته. ويستجيب الفاعل الاجتماعي لضغوطات المحيط والتأثيرات فيتقمص بعض الأفراد وبعض الجماعات، ويتجاهل أو يرفض البعض الآخر، ويستدخل بصورة انتقائية أنساق الاتجاهات والتصورات، ويكتسب معارف وتقنيات تنفعه في حياته. ويمارس الفرد بدوره، ضغوطات وتأثيرات على محيطه الاجتماعي.

ومجمل القول، أن التنشئة الاجتماعية تهدف إلى مساعدة الأفراد على:

–التوافق مع الآخرين.

–الاستقلالية.

–النجاح.

–تكوين القيم.

–وهذا ما سنحاول تفصيله من خلال ما سيأتي:

1– تحديد المفاهيم:

1–1) الحدث:

الحدث في اللغة العربية هو "**صغير السن**"[1].ويقابل كلمة "**حدث**" في الفرنسية كلمة (Mineur)، وفي الإنجليزية كلمة (Minor)[2].

الحدث في القانون، يبدأ بسن التمييز وينتهي ببلوغ سن الرشد. ولقد حدد القانون الجزائري الحد الأعلى للحدث تصريحا والحد الأدنى تضمينا: حيث تشير المادة 442 من قانون الإجراءات الجزائية إلى الحد الأعلى لسن الحدث وهو ثمانية عشر سنة:«**يكون بلوغ سن الرشد الجزائي في تمام الثامنة عشر**». وتشير كل من المادة 444 والمادة 456 ضمنيا إلى الحد الأدنى لسن الحدث، حيث تنصان على التوالي: «**لا يجوز في حالة الجنايات والجنح، أن يتخذ ضد الحدث الذي لم يبلغ الثامنة عشر إلا تدبير أو أكثر من تدابير الحماية والتهذيب**» و «**لا يجوز وضع المجرم الذي لم يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة كاملة في مؤسسة عقابية ولو بصفة مؤقتة**»[3].

و يلاحظ في قوانين الدول العربية والأجنبية تباين في تحديد الحد الأدنى والحد الأعلى للحدث، فقد حددتهما كليهما كل من سوريا، والمغرب، والبحرين ولبنان. بينما أهملت بعض الدول الأخرى الحد الأدنى مثل فرنسا، والكويت، ومصر والجزائر.

1–2) الانحراف:

أ) التعريف الاشتقاقي:أصل كلمة "**انحراف**"في اللغة العربية"**حرف**"ويقال "**حرف الجبل**" أي أعلاه المحدّب.

و يقال فلان على حرف من أمره، أي على ناحية منه. وتحريف الكلم عن مواضعه يعني تغييره[4].ولم يذكر مصطلح "**انحراف**" في القرآن بل ذكر مصطلح "**جناح**" بمعاني عديدة منها: "**الإثم**" و"**الضلالة**" و"**الميلان**". يرتبط التعريف القرآني للانحراف (**الجنوح**) بتقسيم وضبط سلوك الفرد.

لقد ورد لفظ "**جناح**" ثلاثة وعشرين مرة في القرآن في السورة الآتية: البقرة (10 مرات)، النساء (5)، النور (4)، الأحزاب (2)، الممتحنة (1) والمائدة (1)[5].

يستعمل بعض العلماء مصطلح "**سلوك شاذ**" بدلا من "**انحراف**"، لكن علماء الاجتماع يفضلون استعمال مصطلح "**انحراف**".أما علماء النفس المرضيين، فيستعملون المصطلحين معا.

وسنحاول في هذه الدراسة، توظيف مصطلح "**انحراف**" كمقابل للمصطلح الفرنسي (Délinquance) والإنجليزي(Delinquency) نظرا لشيوع هذا الاستعمال وسهولته، حيث يستعمل العلماء مصطلح (Délinquance) ويقصدون به كل :"**فعل جانح ارتكب من طرف الفرد سواء شخصّه القانون أو لم يشخصه**" [(6)].

ب) التعريف الاصطلاحي:

حسب سبورت **(Sprott)**، الانحراف هو: «**محاولة من الممثلين للابتعاد عن القواعد الثقافية المقبولة للسلوك**»[(7)].ويعرفه **كوهين (1959)** بأنه: « **السلوك الذي يعتدي على التوقعات التي يتم الاعتراف بشرعيتها من قبل المؤسسات والنظم الاجتماعية**»[(8)].أما **بارسونز** فيعرف الانحراف بأنه: » **نتاج التفاعل بين التناقضات الوجدانية في النسق الدافعي للأنا والآخر. وعند هذا الحد يكون التفاعل بين التناقضات الوجدانية القائمة في دوافع المشتركين فيه هو مصدر الانحراف**»[(9)]. و هو أيضا حسب **بارسونز** دائما: «**اضطراب في توازن النسق المتفاعل**»[(10)].

ج)الفرق بين "جنوح" و"انحراف" و"إجرام" و"جريمة"[(11)]:

("Délinquance" et "déviance" et "criminalité" et "crime")

- مصطلحا "**جنوح**" و"**إجرام**"يعنيان مجموعة المخالفات التي تقترف في زمن ومكان معينين.

حيثت حدد المخالفات **(جرائم وجنح)** من قبل القوانين، ونجدها في قانون العقوبات الذي يعكس معايير مجتمع معين.

- أما في لغة علماء قانون العقوبات (Pénalistes) في البلدان الأوروبية، بالاعتماد على قانون نابليون **(Code** (Napoléon: الجرائم هي جنح أكثر خطورة لأنها تدخل إلى السجن لمدة تزيد عن خمس سنوات.
- وفي علم الإجرام وحسب "**يامارلوس**" و"**كيلانس**" **(1970** ,Yamarellos et Kellens): الجريمة هي كل سلوك ضد المجتمع، يستوجب تطبيق جزاء ذو طبيعة عقابية تنطق به مؤسسة قضائية هنا نجد أن المفهومين يتوافقان **(جنوح وإجرام)**.
- أما في اللغة الإنجليزية: يعطي مفهوم "**جنوح**" مجموعة السلوكات المضادة للمجتمع والتي تترجم عدم تكيف الفرد مع المجتمع. هذا المصطلح يستعمل خاصة في حالة الجنح المرتكبة من طرف الشباب.حيث أن "**الجريمة**" هي مجموعة أكثر عمومية **(شمولية)** لكل الجنح، مهما كانت خطورتها.

ويمكن إجراء تمييز بسيط بين "**جرائم مسجلة**" **(الأكثر خطورة لأنها تدخل إلى السجن)** و"**جرائم غير مسجلة**".

- كما يستعمل مصطلحي "**الجنوح**" و"**الإجرام**" كمفهومين عاميين متعلقين بالحياة الاجتماعية، وهما مترادفان بصورة كبيرة، وبالتالي ففيهما عدة مظاهر وثيقة الصلة بعضها ببعض: الفعل والفاعل والضحية. وهذه الأخيرة **(الضحية)** لا يمكن تجاهلها لأن لها مكان نشيط داخل هذا النسق ليس فقط في التفاعل المحتمل مع الفاعل **(المعتدي)** أثناء ارتكابه للفعل ولكن أيضا، أثناء كامل السيرورة العقابية (Processus pénal).
- ومن جهته يرى **سزابو(1973** ,Szabo) أنه ينبغي أخذ النسق العقابي (Système derépression) بعين الاعتبار حيث أدرك الباحثون، حسب **سزابو**، أنّ دراسة العوامل الاجتماعية–الاقتصادية أو النفسية للإجرام لا تأخذ بعين الاعتبار، سوى جزء من الواقع الإجرامي. وأن نشاط المؤسسات التي تطبق العدالة والشرطة والمحاكم والمصالح العقابية له دور ويمارس تأثيرا هاما.
- إذن يجمع مصطلح "**انحراف**" كل تعدي على معيار معين، بدون أن يأخذ "**القانون**" كمعيار لذلك.

في حين أن مفهوم "**الانحراف**" (déviance) أكبر اتساعا من مفهوم "**الجنوح**"(délinquance) الذي يرتبط خاصة بالثقافة والمجتمع.

- أما بالمعنى الضيق ف"**الجانح**" (délinquant)هو فرد ارتكب فعلا يوصف بالجانح(acte délictueux)من طرف المجتمع **(أو المؤسسات التي تمثله).** كل فرد ارتكب فعل جنوح(actede délinquance) ليس بالضرورة، في نظر القانون جانحا.(délinquant)إن استعمال الكلمات في هذه الحالة، صعب للغاية لأن وصف شخص بأنه جانح هو نوع من الوصم (stigmatisation)الذي قد تكون عواقبه وخيمة على الشخص.

1-3) الحدث المنحرف:

أ)التعريف القانوني:

إن الحدث المنحرف حسب جمال الدين عبد الخالق هو: «**الشخص الذي يعتدي على حرمة القانون ويرتكب فعلا نهى عنه في سن معينة ولو أتاه البالغ لوقع تحت طائلة العقاب سواء كان هذا الفعل مخالفة أو جنحة أو جناية**»[12].

وقدم نيومايار **(**Neumeyer**)** تعريفا لعبارة "**انحراف الأحداث**" فقال: «**هي تلك الأفعال المضادة للمجتمع،التي يرتكبها أطفال أو أشخاص دون السن القانونية**»[13].**أما "دافيد أبراهومسن"** (DavidAbrahumsen)هو أيضا فقدمهو أيضا تعريفا لعبارة "**انحراف الأحداث**" وقال: «**أي عمل إجرامي يقوم به الحدث ضد الأشخاص أو الممتلكات ويكون منافيا للقانون**»[14].

ب) التعريف النفسي:

إن الحدث المنحرف حسب **السيد رمضان**(1991)هو: «**ذلك الشخص الذي يرتكب فعلا يخالف أنماط السلوك المتفق عليه للأسوياء في مثل سنه وفي البيئة ذاتها، نتيجة لمعاناته من صراعات نفسية لا شعورية تدفعه لا إراديا لارتكاب هذا الفعل الشاذ كالسرقة، أو العدوان، أو الكذب، أو التبول اللاإرادي أو قضم الأظافر.... الخ**»[15].في حين أن **أنور الشرقاوي** يرى أن الحدث المنحرف هو: «**الصغير الذي يستجيب لعدم توافق بدرجة خطيرة ومتزايدة وبوسائل عدوانية**»[16].و أخيرا تريإيفي بينات (Ivy Bennet) أن الحدث المنحرف هو:« **الطفل الذي يقوم بسلوك مضاد للمجتمع ويكون اجتاز مرحلة الكمون**»[17].

ج) التعريف الاجتماعي:

حسب "**س. و إ. جلوك**" (S. etE. Glueck) الحدث المنحرف هو: «**الشخص الذي يقوم بأفعال متكررة غير قانونية تصدر منه وهو لم يبلغ سن السادسة عشر. ولو ارتكبها الكبار لاعتبرت جرائم، وهذه الأفعال غير القانونية ترتكب نتيجة سوء تكيف الأحداث مع النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه**»[18].و يعتقد "**روث كافان**" (Roth Cavan)أن الحدث المنحرف هو: «**كل طفل أو شاب ينحرف سلوكه عن المعايير الاجتماعية ،بشكل كبير، يؤدي إلى الضرر بنفسه أو بمستقبل حياته أو المجتمع ذاته**»[19].و في رأي"**الشيخ كامل محمد عويضة**"الحدث المنحرف هو: «**ضحية ظروف سيئة اجتماعية أو اقتصادية أو صحية أو حضارية**»[20].

وكثيرا ما يذكر علماءالاجتماع، عندما يتطرقون إلى مسألة "**الحدث المنحرف**"، نوعان من الأحداث المنحرفين وهما: "**المنحرف المزمن**" و"**المنحرف بالمناسبة**" .

2- العوامل المولدة للانحراف:

تحدّد **باتريسياهانقان** (PatriciaHanigan) [21]خمسة عوامل مولدة للانحراف وهي كالآتي:

1-2) الأسرة:

إذا كانت الأسرة هي عامل التنشئة الأول، فهي كذلك عامل مولد للانحراف.

2-2) المدرسة:

تلعب المدرسة، بعد الأسرة، دورا في تعلم الطفل بعض القواعد وتقترح عليه بعض النماذج التي تساعده على تحقيق الانسجام في حياته الاجتماعية. كما تساعد المدرسة أيضا في نموه العقلي والوجداني والاجتماعي.لكن رغم كل هذا الأثر الإيجابي للمدرسة، في حياة الطفل، إلا أنها قد تتسبب في انحرافه. فقد توصلت الكثير من الدراسات إلى وجود علاقة وثيقة بين عدم التكيف المدرسي والانحراف.

ففي سنة 1976 توصل **لابارج-ألتمد**(D. Laberge-Altmejd) إلى إيجاد ارتباط قوي جدا، بين عدم التكيف المدرسي والانحراف، في عينة من الشباب **(المراهقين)**. ومن جهته فقد استنتج الباحثان "**وسط**" و"**لوبر**" (West &Loeber)، سنة 1982، أن عدم التكيف المدرسي، إذا ظهر منذ الابتدائي يشكل مؤشرا على السلوك المنحرف مستقبلا[22].

وفي دراسة ثالثة أجراها **فارينطن**(Farrington)،توصل هذا الأخير إلى أن عدم النجاح المدرسي **(الفشل)**في السنوات الأولى من التمدرس**(بين السنة السادسة و السنة العاشرة من العمر)** هو محك جيد لتمييز المنحرفين عن غير المنحرفين، وكذلك كشف الأشكال المزمنة للانحراف. ومن جهتهما، يرى "**لي بون**" و"**فريشات**" أن (42%) من أفراد عينتهما من المنحرفين المتابعين قضائيا،تأخروا سنة دراسية واحدة، وأن(26%) تأخروا سنتين. ويعرض "**لي بلون**" و"**فريشات**" مقارنة، بين مراهقين منحرفين غير متابعين قضائيا، ومراهقين منحرفين متابعين قضائيا، فتبين لهما أن المراهقين المنحرفين غير متكيفين مدرسيا **(عدم انضباط، عدم اهتمام بالدراسة، فشل دراسي)**، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي المأخوذ من كتابهما حول "**الانحرافات والمنحرفين**" (1987):

جدول (1) يمثل عدم تكيف المراهقين المنحرفين مدرسيا، حسب "لي بلون" و"فريشان"

	سلوك الأفراد		مراهقون منحرفون متابعين قضائيا	مراهقون منحرفون غير متابعين قضائيا
(1)	الغياب باستمرار		17	04
(2)	يطرد باستمرار من القسم		50	09
(3)	طرد مرة من المدرسة		63	06
(4)	يود الذهاب إلى الجامعة		16	76
(5)	يعارض دائما داخل القسم		44	05
(6)	في سن الـ17	يذهب إلى المدرسة	18	88
		بطال	60	05
		يعمل	22	07

Source : M. Frechette et M. Leblanc, délinquantes et délinquants. Chicoutima : Gaëtan Morin Ed, 1987 in Patricia Hanigan, la jeunesse en difficulté. Québec : P.U.Q, 1997, P. 221.

بالإضافة إلى عدم التكيف المدرسي،هناك أيضا صور أخرى لآثار المدرسة في ظهور الانحراف، فالمدرسة بمظهرها الهرمي والتنافسي، تخلق وضعيات خطيرة كالفشل والتوجيه إلى الأقسام الخاصة. مما يولد إحباطات واتجاهات سلبية وتمردا وتخليا عن الدراسة ويلعب المعلم دورا كبيرا في انحراف تلميذه، إذا كان الأول يمثل نموذج تقمص سلبي للثاني. فكثيرا ما يتسبب المعلم في توليد مشاعر النبذ وعدم الفهم والظلم عند التلميذ. وفي الأخير،فإن أسلوب معالجة المدرسة

للتلاميذ الهامشيين هو في حد ذاته عنصر مساعد على عدم التكيف المدرسي. ويتمثل أسلوب المعالجة، في وضع التلاميذ الذين يعانون من صعوبات مدرسية، في أقسام خاصة أو طردهم مؤقتا أو نهائيا.

إن الصعوبات التي يعاني منها التلاميذ في المدرسة، هي في أغلب الأحيان، صعوبات سابقة عن الدخول المدرسي مثل:المشاكل العائلية والاجتماعية.

2-3) الشغل (العمل):

لقد شغل الدخول المبكر للأطفال سوق الشغل بال الباحثين والعلماء في مجال الانحراف ورغم منطقية وعقلانية الافتراض القائل بارتفاع نسبة الانحراف في الفئة التي تدخل سوق الشغل مبكرا، إلا أن النتائج لم تنف ولم تؤكد هذه الفرضية وجاءت التحاليل متناقضة، في كل مرة. فقد لاحظ "**برونوفست**" و"**لي بلون**" (Pronovost et Blanc)[23] أن ترك المدرسة، قد يخفض من شدة الانحراف عند الأفراد الذين يندمجون جيدا في عالم الشغل.

ويعتقد "**قلوك**" و"**قلوك**" (GluecketGlueck)، من خلال نتائج دراستهما، بوجود ارتباط موجب،بين الشغل والانحراف،أي أن المنحرفين يشغلون عملا أكثر من غير المنحرفين.ومن جهته، يشير "**كيسون**"(Cusson) إلى أن عددا كبيرا من المنحرفين، لا يبقون في عملهم إلا لمدة زمنية قصيرة وهم يغادرونه، بعد أول مناوشة مع مستخدميهم.

2-4)جماعة الرفاق (الأصدقاء):

تلعب جماعة الرفاق دورا كبيرا في حياةالمراهق. إذ يذهب "**فريشان**" و"**لي بلون**" بعيدا لتشخيص الانحراف في سن المراهقة. ويريان أن نسبة (23%) فقط من المنحرفين غير القضائيين ينتمون إلى جماعة رفاق يمارس بعض أفرادها أعمالا غير قانونية، في حين تصل هذه النسبة إلى (62%) عند المنحرفين القضائيين[24].

ويفسر "**فريشان**" و"**ليبلون**"، ذلك أن الشباب، على المدى القصير، يقبل تأثير جماعة الرفاق المنحرفين،حتى تقبله الجماعة، ودون أن يكون بالضرورة متقبلا للنشاط المنحرف المطلوب منه القيام به. أما على المدى المتوسط والطويل، فيصبح تأثير جماعة الرفاق على الشاب مرتبط بمدى تقبله هو لهذه الجماعة، أي يصبح هناك قبول متبادل: على الشاب أن يرغب في التشبه بالآخرين وعلى الجماعة أن تقبل الشاب بكل ما فيه.

إن الانحراف بصحبة جماعة الرفاق له إيجابيات **(مزايا)**، فالجماعة تمنح الشاب تعلما نفسيا تعلما تقنيا يساعداه على الشهرة وربح أوفر للمال[25].ويقصد بالتعلم النفسي: التحضير المعنوي الضروري لاقتراف فعل انحرافي. فجماعة الرفاق تساعد الشاب على التغلب على المخاوف وتفادي مشاعر الذنب ،الناتجة عن مخالفة القانون. كما يأخذ الشاب من جماعة رفاقه الشجاعة للمرور للفعل، وتساعده جماعة الرفاق على تبرير السلوكيات المنحرفة، كما يموّه الشعور بالذنب لأن المسؤولية جماعية وليست فردية. أما التعلم التقني فيقصد به تعلم أسرار وخفايا عمل المنحرفين الآخرين الأكثر تجربة وخبرة. وبواسطة هذان التعلمان، يصبح الانحراف مع الجماعة أكثر فائدة، فتزداد اللذة لأن أفراد الجماعة يتقاسمونها معه، وتعظم الشهرة لأن أفراد الجماعة يتبادلون الحديث، فيما بينهم، عن حسن الأداء والقوة والشجاعة ،التي يبديها الشباب أثناء القيام بالأفعال المنحرفة.

2-5) العوامل الاجتماعية-الاقتصادية:

يرى "**وسط**" و"**فارنطن**" (**West&Farrington**) [26]أن انخفاض الدخل الأسري هو إحدى العوامل الخمسة التي تميز المنحرفين عن غير المنحرفين.

وتوصل "**روبنس**" (Robins) إلى أن الأطفال المنتمين لأسر فقيرة ويشغل الأولياء وظائف دنيا **(مهن)** هم الأكثر انحرافا من الأطفال الآخرين.

ومن وجهته، يرى **بلومشتاين ومن معه**(Blumsteinet al)، وهم باحثون من بريطانيا، أن انخفاض الدخل الأسري هو العامل الأكثر تمييزا بين المنحرفين المزمنين والمنحرفين غير المزمنين، في حين يعتقد "**بلون**" و"**فريشات**" أن المنحرفين القضائيين، يأتون من أوساط اجتماعية فقيرة. ففي دراستهما التي أجرياها عن المنحرفين القضائيين **(متابعين قضائيا)** يصرح هؤلاء أنهم من أسر تتلقى مساعدات من الضمان الاجتماعي أو من مصالح العناية بالبطالين. وتنزل هذه النسبة إلى(22%) فقط، عند المنحرفين غير القضائيين، كما يصرح (76%) من المنحرفين القضائيين، أنهم من أسر تستأجر سكناتها ,في حين أن نصف المنحرفين غير القضائيين (50%) هم من أسر مالكة لسكناتها، وفي الأخير هناك عوامل اجتماعية–اقتصادية أخرى تؤثر على الانحراف كالوسط الاجتماعي وما يحدث فيه من حراك وتغير وتنوع ثقافي وأنماط العلاقة بين الرجال والنساء.

3- أنماط المنحرفين:

يمكن حصر نمطين اثنين من المنحرفين ويندرج تحت كل نمط، أنماط فرعية أخرى، وفيما يلي عرض وجيز لهذه الأنماط:

3-1) تنميط للاستمرارية: لقد أشارت **موفيت**(Moffit, 1993) إلى وجود صنفين من الانحراف ضمن هذا التنميط وهما: **(أنظر جدول -2-)**.

أ) انحراف محدد بسن المراهقة: يتميز هذا النمط ببداية "**المرور إلى الفعل**" في سن "**المراهقة**"، أي نادرا ما يظهر قبل السنة (11-12). يعاني هؤلاء المنحرفين من عدم استمرارية في طفولتهم وأفعالهم المنحرفة تتصف بـ "**عدم الانسجام**"، وهي متغيرة حسب الوضعيات أو الفرص، وفي سن(14-15) ويبدو جليا وواضحا الطابع النفعي لهذه الأفعال سواء كان النفع ،ماديا **(الانضمام الى جماعة)** أو معنويا**(الشهرة)**. و يكون الانحراف هنا ذو طابع استكشافي، وهو علامة على الانقطاع عن القيم الأسرية وبحثا عن منزلة ودورا ،وتأتي "**نهاية**" هذا الانحراف مع "**نهاية المراهقة**"، حيث ينخرط الشخص في حياة وجدانية ومهنية توفر له منزلة ومسؤوليات، ويرى بعض الباحثين، . في الوقت الراهن .، أن الخروج من سن المراهقة،لا يعني أن الشخص سيتوقف عن اقتراف الأفعال اللاشرعية[27].

ب)انحراف دائم:يبدأ هذا الانحراف مبكرا، وتظهر فيه اضطرابات سلوكية وأحيانا "**انحرافية**" منذ الطفولة، ويتميز المزاج والشخصية بوجود أعراض"**فرط النشاط**" أو "**العجز في وظائف الضبط**". وتوجد في الغالب صعوبات في التغلب وفشل مدرسي وتعاظم العجز في التعلق أثناء العلاقات، ويبدأ مع الوالدين ثم مع الراشدين الآخرين. ويعزز الأقران المنحرفون النشاطات الهامشية. وتظهر ديمومة الانحراف بعد المراهقة في صورة مسارات إجرامية. كما يوجد هناك تفاعل بين سمات الشخصية والعوامل المحيطية في مختلف مراحل العمر من الطفولة، إلى سن الرشد مرورا بسن المراهقة، وهذا التفاعل هو الذي يصون ويحافظ على النشاط الانحرافي.

يفسر منحنى توزيع الانحراف ،كما تقترحه "**موفيت**" **(أنظر الشكل -2-)** الذي يوضح نظرية "**موفيت**" حول وجود نمطين من الانحراف، ففي قاعدة المنحنى نجد سهمين **(خطين)** يدلان على "**الانحراف الدائم**" ،الذي يبدأ منذ الطفولة ويمتد إلى سن الأربعين. هذا النوع من الانحراف، نادر، لأنه لا يشكل سوى(5 إلى 10%) من مجتمع الذكور. أما النوع الثاني من الانحراف المسمى "**انحراف محدد بسن المراهقة**" فيظهر ،على شكل منحنى جرسي، بمعنى أن بعض الأفراد

يبدأ الانحراف عندهم في أول المراهقة ويقترفون أفعالا منحرفة أثناء كل مرحلة المراهقة، أما البعض الآخر، فيبدأ الانحراف عندهم في آخر المراهقة، ويتوقفون عنه في فترة قصيرة.

ينتشر هذا النوع الثاني من الانحراف،عند حوالي (50%) من مجتمع المراهقين، أما نسبة(40%)الباقية فتخص الأفراد الذين لم يقترفوا الأفعال المنحرفة التي تصنفهم ضمن نوعيي الانحراف المذكورين.

وفي سنة 2002 قامت "**موفيت**" ومن معها بمواجهة هذا التنميط وبينت أن نسبة الممتنعين عن اقتراف أفعال انحرافية تخص(50%) من مجتمع الذكور فقط. كما رأت ضرورة تقسيم نمط "**المنحرفين المحرفين المحدودين بسن المراهقة**"،إلى أصناف فرعية. كما اعترفت أن التوقف عن الانحراف في سن المراهقة عند أفراد هذا النمط لم تؤكده الوقائع.

ومن جهته، لاحظ "**ميشال بورن**" (M. Born, 2002) أن الشباب الذين يقترفون أفعالا منحرفة في مراهقتهم،قليلا ما يتوقفون عنها لما يبلغون سن(18 أو 19)، بل أن غالبيتهم يستمرون في نشاطاتهم الجانحة إلى سن 24 على الأقل، وهذا مهما كانت وضعيتهم المهنية أو الزواجية.

الجدول (2) مقارنة بين الانحراف "المحدد بنسق المراهقين" والانحراف "الدائم"، حسب ت. موفيت(T. Moffitt, 2002)

نوع الانحراف خصائصه	انحراف "محدد بسن المراهقة	انحراف "دائم"
	- يظهر الانحراف في سن المراهقة. - يكون ظهوره مؤقتا. - شائع جدا (حوالي 50% من المراهقين). - لا توجد عوامل خطورة عصبية-بيولوجية. - خطورة وراثية صغيرة جدا.	- يظهر الانحراف منذ الطفولة. - يستمر على مدى عدة فترات من الحياة. - توجد حالات نادرة (5-10 من الذكور). - توجد اضطرابات عصبية وسلوكية. - احتمال تنقل وراثي للخطوة.

Réf : M. Born, psychologie de la délinquance. Bruxelles : éd de Boeck et larciers.a, 2003, P.32.

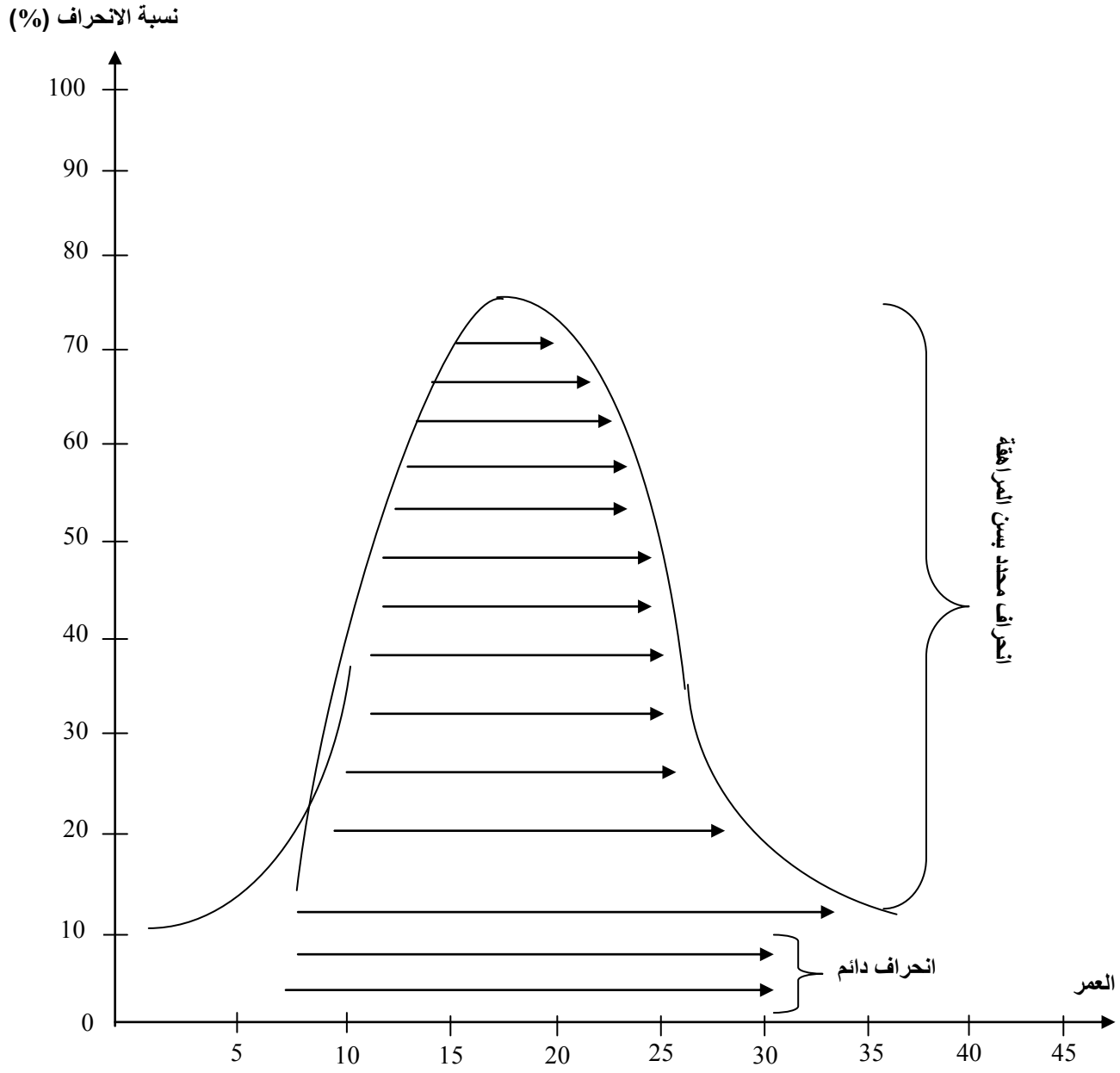

الشكل (01) توزع الانحراف حسب الأعمار وفق نظرية موفيت(Moffitt, 2002)

Réf : M. Born, psychologie de la délinquance. Bruxelles : éd de Boeck et Larciers.a, 2003, P. 37.

لقد **درس مسشال بورن** أسباب تحول الشباب إلى الانحراف وتغير تكيفهم الاجتماعي فتوصل إلى دور الخصائص الفردية للشخص في ذلك مثل مشاعر الذنب لحظة الوقف عن الانحراف، ومن جهته وضح **رونكا ومن معه** (Rönkä et all, **2002**) أن أحداث الحياة، كملاقاة زوج (ة) أو إعادة توجيه مهني، قد تشكل عوامل مفسرة لتطور اجتماعي إيجابي عند الأشخاص ذوي المسارات الانحرافية. أظهر العديد من الباحثين، مثل **موفيت**(Moffitt)و**لوبير**(loeber, 1990)، و**موريزوط**(Morizot, 2001)، أنه كلما كانت السلوكات الانحرافية مبكرة كلما كان التورط فيها خطيرا ودائما، ويبدو هذا الأمر صحيحا أكثر في حالة "**الانحراف العنيف**" الذي يجد مصدره غاليا في تلك العدوانية والاستثارة عند الطفل

الصغير المتبوعة (**المصحوبة**) بصراعات واعتداءات متزايدة الخطورة في فترة الطفولة والمراهقة ثم تصل إلى ذروتها بالاعتداءات وحتى القتل في سن الرشد.

ويمكن تعميم قاعدة التبكير أيضا إلى "**الانحراف الاكتسابي**" حتى لو سلمنا أن سن الطفولة هو الذي توجد فيه العلامات الأولى للدخول في المسار الانحرافي، كذلك ليس مستبعد أن يضم الفرد الواحد المسارات الانحرافية "**العنيف**" و"**الاكتسابي**" مما يعطي مسارات انحرافية خطيرة جدا.

3-2) تنميط مساري:

يقترح "**لي بلون**" و"**فريشات**" تنميطا للمنحرفين يقوم على أربعة أبعاد وهي: اللحظة التي يظهر فيها الانحراف، كميته، تطوراته وديمومته. كما يسمح هذا التنميط بتحديد وضع المنحرف في المسار الانحرافي. يصلح هذا التنميط لكل الأعمار رغم أنه وضع من طرف الباحثين،خصيصا للمراهقين.وفيما يلي عرض وجيز لأهم الانحرافات التي تدخل ضمن هذا التنميط:

أ)انحراف متقطع فرضي: هو انحراف غير اعتيادي، يقترف الفرد هنا عددا محدودا من الأفعال الجانحة منخفضة الخطورة (**ذات خطورة منخفضة**)، وتتبعث هذه الأفعال في فترة محددة من حياة الفرد (**مثلا المراهقة**) ولا تظهر فيما بعد وإذا ظهرت فهي تكون نادرة.

ب)انحراف انفجاري: يقترف الفرد العديد من الأفعال الجانحة وغير المتجانسة (**ضد الممتلكات، الأشخاص، الوانداليةة**)، وتكون خطورتها متوسطة، يظهر هذا الانحراف في فترة صغيرة ،لكن ضمن سياق جو مشحون بالصعوبات الأسرية والشخصية.

ج)انحراف دائم وسيط: هو انحراف غير متجانس، طويل المدى وذو خطورة متوسطة، تدخل الأفعال الجانحة ضمن مسار يبدأ في الغالب في سن الطفولة ويستمر في سن الراشد. ورغم أن هذه الأفعال قد تكون متعددة (**كثيرة**) وتعرض صاحبها للسجن إلا أنها لا تتحول وتتطور إلى اعتداءات أو السرقة بالسلاح أو القتل. يكون المسار متذبذبا ويعرف حالات هدوء لكن لا ينقطع انقطاعا حقيقيا عن الانحراف إلا في سن الرشد.

د)انحراف دائم خطير:تصبح الأفعال الجانحة أكثر عددا وأكثر خطورة في فترة المراهقة وتمتد في شكل مسارات انحرافية إلى سن الرشد. في هذا النوع من الانحراف يرتبط العنف بالانحراف الاكتسابي، وقد يحدث كوسيلة اكتساب، أو تصفية أو انقلاب بالسلاح الناري أو حجز رهائن. وقد تصبح الجرائم متكررة عند المغتصبين المعاودين أو القاتلين باستمرار.

4- سيكولوجية المنحرف:

يدخل الانحراف ضمن "**اضطرابات السلوك**"، فالأطفال الموسومين بأنهم منحرفون لا يظهرون علامات الفجائية والاستفزاز (**التحرش**) وعدم الطاعة، وهي العلامات المشتركة ،بين كل اضطرابات السلوك. وإنما يقترفون أيضا مخالفات للقانون والذين تشيع عندهم، من سن 4 الى المراهقة، سلوكات منحرفة كالعراك والتهديد والغش والكذب والسرقة. غير أن هذه السلوكات المنحرفة، تصبح اكثر شدة وخطورة واستمرارية في سن المراهقة.

تكون الأفعال المنحرفة والتوقيفات بسببها شائعة عند الذكور، بنسبة أربعة ذكور إلى فتاة واحدة (¼) وكلما كان الفعل المنحرف عنيفا كلما زاد المدى (**الفرق بين عدد الذكور مرتفع وعدد الإناث منخفض**).

يمتاز المنحرفون المراهقون باضطرابات مشتركة مثل: اضطرابات التفهم الاجتماعي، كما يكونون أقل براعة **(جدارة)** في فهم الآخرين وتعلم القواعد الاجتماعية. وفي الغالب لهم أولياء **(خاصة الآباء)** مجرمين أو مضادين للمجتمع.و لقد لاحظ علماء النفس أن هناك مجموعتين فرعيتين من المنحرفين:

- المنحرفون المجتمعون **(المنشؤون اجتماعيا)** والمندمجون: يكونون مندمجين داخل جماعة فرعية، لهم صحبة سيئة ويبقون خارج المنزل لأوقات متأخرة من الليل، ويرتبطون بقوة بجماعتهم أو بعصابتهم وبإمكانهم اقتراف مختلف المخالفات، في إطار نشاطاتهم ضمن الجماعة.
- المنحرفون المرضى نفسيا وغير المجتمعين **(غير المنشئين اجتماعيا)** وغير المندمجين: وهم في الغالب وحيدون وعديمو الشعور أو الشعور بالذنب. ويبدو كأنهم يحبون الصراعات ولا يثقون في أحد. ينحدر المنحرفون المجتمعون والمندمجون في جماعة فرعية، من أحياء فقيرة ويكبرون و يترعرعون في أسر لم تكن التربية فيها منسجمة، فهم لم يتلقوا عاطفة وحبا كبيرين[28].

لقد كان أسلوب التربية الأسرية لا ملتزما ولا مباليا ومهملا. إن الأطفال الذين يعيشون في أحياء فقيرة لا يصبحون كلهم منحرفين، والسبب في عدم انحراف البعض هو تشبعهم بحب كبير من الأم. أما المنحرفين المرضى نفسيا وغير المجتمعين،فيتوزع أصلهم بين كل طبقات المجتمع، ومن العوامل التي أدت إلى الانحراف نجد فشل الأولياء في فرض التربية أو حدوث تعزيز مباشر لسلوكات عدوانية داخل الأسرة، ومزاج الطفل وعوامل الحماية مثل الحب الأمومي، وبعض العوامل الأخرى كنقص المهارة الاجتماعية أو مشكل تقبل الرفاق للطفل.

يميل الأطفال المرفوضون والمضادون للمجتمع،إلى التجمع **(التكتل)** مما يعزز استمرار سلوكهم المضاد للمجتمع[29].

فقد **ذكر كريستيان ديبويست**(Christian Debuyst, 1971) خمسة خصائص للمنحرف هي:

- عدم القدرة على مراعاة واحترام مبدأ الواقع.
- غياب الانتباه والاهتمام بالآخرين.
- عدم الالتزام الوجداني والخلقي مع الآخرين.
- فرط الحساسية.
- عدم القدرة على التكيف.

إن المنحرف يعاني من الشعور بالذنب الذي مصدره الأنا الأعلى، لذلك فهو يسقط ميكانيزمات دفاعية على الآخرين أويوجهها نحو أناه الأعلى. ويذكر "ردل" هذه الميكانيزمات، مثل:

- استراتيجية تجنب الحساب الداخلي: ينفي المقاصد المنحرفة ومسؤوليته عن الانحراف.
- البحث عن سند للانحراف: باكتشاف أصدقاء جانحين، أو افتراض القدرة على الإفلات من العقاب.
- مقاومة التغيير: يمنع عن نفسه التعبير عن حاجته للحب والعلاقات الحميمة[30].

وما يلاحظ أن المنحرف يغير من ميكانيزماته الدفاعية حسب الوضعيات والمواقف وهو يعاني من نقص ضبطه أثناء الحوار مع الآخرين، فينقلب تعبيره اللفظي إلى تعبير انفعالي وسلوكي[31].

اذ يعتقد بعض الباحثين، أن المنحرف له شخصية نمطية تميزه عن غيره من الناس، في حين يعتقد باحثون آخرون،أن مفهوم "**الشخصية المنحرفة**" لا يصلح ولا يمكن تداوله، إلا عند بعض المنحرفين وليس كلهم وفيما يلي نحاول التطرق الى 5 نظريات في الشخصية المنحرفة و هي:

أ) نظرية "لي بلون" و"فريشات"[32]:

يرى هذان الباحثان أن المنحرفين القضائيين يتميزون عن المنحرفين غير القضائيين بثلاث صفات:

- السلوك الانحرافي.
- عسر التنشئة الاجتماعية: أي صعوبات الاندماج الاجتماعي.
- تمركز مفرط حول الذات.

وتتميز شخصية المنحرفين القضائيين بالانعزال أي صعوبة ربط علاقات متينة مع الآخرين، ونقص في التنشئة الاجتماعية أي عدم القدرة أمام متطلبات وضغوط الحياة الاجتماعية والسلبية تجاه الآخر، وعدم الأمن والبدائية، أي أن الفرد يعطي الأولوية لحاجاته الشخصية فقط.

إن المنحرفين منغلقون على ذواتهم، بسبب رؤيتهم للواقع من خلال منظار متمركز حول ذواتهم وليس متمركزا على الآخرين.

ب) نظرية "بوشلسن" و"ساميتو"[33]:

هذان الباحثان، هما طبيبان أمريكيان مختصان في الطب العقلي، ولقد نشرا سنة 1976 كتاب "**شخصية المجرم**" وفيه يؤكدان على وجود "**منحرفين بالعادة**"؛ أي أفراد اختاروا نمط العيش المنحرف منذ السنوات الأولى من عمرهم (4-6 سنوات).وهما يعتقدان أن مساوئ المنحرفين ،توجد على الصعيد المعرفي أكثر مما هي على الصعيد الوجداني، فالمنحرفون يتميزون بطريقة خاصة في التفكير، حيث يرون الواقع من منظور خاص بهم. ومن أهم الأفكار التي يؤمن بها المنحرفون نجد ما يلي:

- أثناء الاتصال مع الآخرين، لا يتكلمون عن أنفسهم، ولا يقبلوا الآخرين ويغيب نقد الذات عنهم.
- يستعمل المنحرف عبارة "لا أستطيع"، وفي الواقع فهو يقصد "لا أريد".
- يعتبر المجرم نفسه ضحية المجتمع والأحداث.
- يفكر المجرم أن له الحق في امتلاك الأشخاص والأشياء ملكية مطلقة.
- المجرم يرفض الخوف رغم أنه مسكون بمخاوف عديدة.
- يعمل المجرم دائما ليكون هو الأحسن، في كل الميادين لأنه مغرور.
- لا يهتم المجرم بالأضرار أو الآلام التي يتسبب فيها للآخرين.

لقد أحصى هذان الطبيبان حوالي 50 نمط تفكير لدى المنحرفين.

ج) نظرية "روس" وفابيانو"[34]:

هذان الباحثان الكنديان مختصان في علم الإجرام، وهو يرجعان كذلك الانحراف والإجرام إلى علل معرفية. ومن أهم هذه العلل، ما يلي:

- المجرم لا يتحكم في ذاته، ولا يفكر قبل الإقدام على فعل ما.
- إحساس المجرم ضعيف أو منعدم بمسؤوليته فيما يحصل له **(انحرافه)**.
- تفكير المجرم متصلب، وهو ليس منفتحا على الآراء الجديدة، لا يظهر مرونة كبيرة ولا إبداعا.
- يصعب على المجرم حل المشكلات.
- المجرم متمركز حول ذاته.

- قيم المجرم متمركزة حول ذاته، ويميل **(ينحو)** إلى تعريف الخير والشر، بما يتوافق وذاته.

د) نظرية "ردل" و"ينمان":

نظرية هذان العالمان تعرف بنظرية "**الأنا المنحرف وتقنياته**" ولقد عرضاها في الفصل الرابع من كتابهما "**الطفل العدواني**"[35]. وتعني هذه النظرية أن أنا الشخص المنحرف يستعمل العديد من ميكانزمات الدفاع حتى يستمر ويبقى أنا منحرفا.وقد صنفا هذه التقنيات الدفاعية ضمن أربع استراتيجيات:

***استراتيجية تفادي العقاب الداخلي:** أو ما يعرف بتقنيات إزالة الإحساس بالذنب. إن الأطفال المنحرفون سلوكيا تتوفر شخصيتهم [36]على "**مجموعات من القيم**" فلا يستطيع آناهم الحصول على الإشباع دون دفع ثمن لذلك ويتمثل في "**الإحساس بالذنب**".

إن هؤلاء الأطفال حائرون وقلقون، ويبعدون حيرتهم وقلقهم بالسلوك السوي، لفترة من الوقت.

ومن أهم تقنيات "**الهروب من العقاب**"، ما يلي[37]:

- "كبت وإخفاء النوايا والمقاصد الحقيقية".
- "هناك من فعل قبلي هذا السلوك".
- "الجميع فعل، على الأقل، هذا السلوك".
- "لقد كنا جميعا مشاركين في هذا السلوك".
- " لقد فُعل بي نفس الشيء من قبل".
- "هو من أراد هذا".
- "لقد اضطررت لفعل ذلك وإلا كنت أنا الخاسر".
- "لم أستفد بشيء".
- "لكنني تصالحت معه فيما بع".
- "هو ليس استثنائيا (بدائيا)".
- "إنهم كلهم ضدي، ولا أحد يحبني، ويقضون كل وقتهم في استفزازي".
- "لم يكن بوسعي الحصول عليه بغير هذه الطريقة".

***إستراتيجية البحث عن سند للانحراف:** يملك المنحرف براعة في اختيار "**رفقاء سوء**"، ويبحث جاهدا عن إغراءات للانحراف وأهدافا يدافع من أجلها.

إن الأنا المنحرف لا يكتفي بمبررات ذكية ليريح ضميره، بل يبحث عن الوسائل التي تضمن له الإشباع من الإطراء الانحرافي[38]، دون الإحساس بالذنب؛والإطراء الانحرافي هو كل ما يتلقاه المنحرف من شكر ومدح وإطراء ومزايا نتيجة فعله الانحراف: كالاعتراف بقوته، وشجاعته وذكائه. وفيما يلي بعض الاستراتيجيات المستعملة لتحقيق سند للانحراف[39].

- البحث عن "**رفقاء السوء**".
- الميل والرغبة في "**تشكيل عصابة**".
- الانجذاب نحو الفعل المنحرف الابتدائي **(أي القيام لأول مرة بفعل منحرف ثم يقوم أشخاص آخرون به تقليدا ومحاكاة).**

- البحث عن إغراءات الانحراف.
- استغلال النوبات المرضية المعتادة لاقتراف السلوك المنحرف.
- التمرد على مبررات الآخرين.
- "**مثالية الأنا**" لها ثقافة تفضل الانحراف.
- التوهم أنه سيستثنى من قوانين الأثر بعلته والنتيجة بسببها.
- التبعية لطموحات وكفاءات ترتبط بالانحراف.

***إستراتيجية مقاومة التغيير**: يتفادى المنحرف الوضعيات أو الأفراد الذين يستهجنون انحرافه، ويستمر في نفي أفعاله المنحرفة، وإذا قبض متلبسا رفض التخلي عن العوامل التي تشجع على انحراف **(أماكن مولدة للانحراف، رفقاء الاستهلاك)**.

إن أنا الشخص المنحرف فعال جدا في تنويم صوت الضمير **(الأنا الأعلى)** وذلك بتغذيته بسلسلة من "**الحيل والمبررات**". ومن أهم التقنيات المستعملة للدفاع ضد التغيير، ما يلي[40]:

- الامتناع عن الكلام لحظة الاعتراف.
- الهروب إلى الصفة الحميدة.
- تفادي الناس الخطيرين في حالة الانحراف الشخصي.
- خنق (كف) حاجاته للحب والتبعية والنشاط.

***الحرب ضد عوامل التغيير[41]**: يحيط المنحرف، بسرعة، بنقاط ضعف الآخرين ويحاول استعمالها في صالحه، ويظهر معارضة كبيرة باستعمال أسلوب خاص لا يستعمله الآخرون في العادة.

5- الأسرة والانحراف:

5-1) سمات أسر المنحرفين:

تكون أسر المنحرفين في الغالب، مفككة: الطلاق، الانفصال، العنف داخل الأسرة، الكحولية.

ولقد لوحظ أن المنحرفين، في الغالب، قد تعرضوا إلى سوء المعاملة الوالدية والحرمان العاطفي.

إن المراهقين المنحرفين لهم سمات شخصية، تشبه سمات شخصية الحدّيين[42].كما يلاحظ أن أولياء المنحرفين يكونون ساكنين، وينزلون عقوبات غير ملائمة على أولادهم، وتكون علاقاتهم مع أولادهم سيئة ويكون الاتصال بينهم وبين باقي أفراد الأسرة، في نقطة الصفر[43].

5-2) المشكلات الأسرية:الأسرة السوية هي التي يحافظ أفرادها على تماسكهم الأسري، ويسود بينهم الحب والمودة والعطف والتقدير والتعاون واحترام دور ومكانة كل واحد منهم.

وإذا زال هذه التماسك ،انفرط عقد هذه الأسرة وأصبحت توصف بـ "**اللاسوية**" وكثرت مشكلاتها، التي سنورد البعض منها:

أ) الحرمان من الأم: يؤدي حرمان الطفل من أمه ،إلى عدم نضجه وجدانيا وعقليا وحسيا-حركيا.

ب)غياب الأب:تكون الإناث في هذه الحالة أكثر تبعية للآخرين، ويكون الذكور أقل توافقا في علاقاتهم مع الآخرين، وأقل نضجا جنسيا، حيث يتصرفون برجولية مصطنعة ومبالغ فيها أو يتشبهون بالإناث.

ج) مشكلات التدريب الأخلاقي: يؤدي التدريب الأخلاقي، إلى تبني الطفل لمعايير أسرته الأخلاقية، وهكذا ينمو ضميره الخلقي، كما تنمو عنده مشاعر الذنب إذا تصرف بما يخالف هذه المعايير، لكن قد يخل الأولياء بهذا التدريب إفراطا أوتفريطا، كأن يكونوا قساة فيؤدي إلى عدم التوازن في شخصية الطفل أو ليّنه فينحرف أو يضطرب نفسيا.

د) الانحـراف: عندما يعيش الطفل في جو أسري مريض، يحرم فيه من عطف الأولياء ومن إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية، فلا يجد ملاذه إلا في الانحراف(44).

هـ) نقص الضبط الاجتماعي الأسري: إن زيادة نسبة الطلاق والانفصال، من شأنه أن يؤدي إلى انخفاض في الضبط على مستوى الأسر. يرى الباحثون أن الأسر أحادية الولي،تعاني من نقص في الضبط الاجتماعي، حيث يلاحظ أن المراهقين في هذه الحالة يأخذون حرية أكبر ويختبرون الحدود، وتجد الأم التي تعمل خارج المنزل لتلبية حاجياتهم، صعوبات في ضبط سلوكات أبنائها المراهقين.

أما الأب فقد يكون غائبا أو لا يلعب دوره الاجتماعي نحو أبنائه، وهذا لا يعني أن الأطفال الذين يأتون من أسر أحادية الولي والتي تعاني من نقص الضبط، سينحرفون بالضرورة.

من جهة أخرى، فإن ممارسة سلطة صارمة جدا وغير عادية يعد عامل خطر في ظهور الانحراف وله نفس أهمية انعدام السلطة(45).

و) نقص السلطة الوالديـة: السلطة الوالدية هي القدرة على تدريب الطفل وبنية شخصيته، وهي كذلك فعل دينامي، ومخطط ومشاريع ورغبات وتصورات. الراشد هو من يبادر، ويحث ويثير ويقترح على الطفل.السلطة الوالدية هي أيضا الأمن ووضع الحدود. كما ان الولي هو الذي يرشد الطفل وينبهه إلى الأخطار ويحميه ويعلمه القواعد والقوانين.

السلطة هي القدرة على الإيضاح أي تقديم الأحداث المعاشة والخيارات، بكيفية إعلامية، وقابلة للفهم، و ذلك حتى يدمجهم الطفل في شكل مرجعيات واضحة. وتبقى الحرية للطفل، فيما بعد، في تحديد موقعه واختياراته الخاصة به.

السلطة هي قبل كل شيء،مسؤولية كل ولي على حدى، حيث يعطي كل منهما لسلطته الشكل والتصور المناسب له حسب حياته وتربيته.

تتقاسم المجموعات التربوية سلطة الأولياء، ولكي يحافظ على وهرمية و توازن في القيم الأسرية والاجتماعية لابد أن يكون هناك انسجام بين الأسرة وهذه المجموعات التربوية(46).

وقد تتخلى الأسرة عن دورها نحو الطفل؛ إما تقاعسا أوضعفا أو لعدم الكفاءة.

إن نقص السلطة، هو اختلال في التوازن وقد يؤدي إلى الانحرافات التربوية المضرة بالطفل(47)، فيصبح هشا جدا، وضعيف في علاقاته الاجتماعية، وتنقص ثقته في نفسه، ويصير أكثر اندفاعية ولا يعود قادرا على تحضير أفعاله وتسبيقها. هذه الأعراض مرجعها إلى نقص السلطة الوالدية، خاصة الأبوية، ويؤدي نقص السلطة إلى ظهور صعوبات جمة منها:

- لا يتحمل الأولياء مسؤولياتهم في توجيه الطفل، حيث لوحظ عندهم ليونة وتسامح، وغموض في توجيهاتهم التربوية، واستقالة، وعدم الاختيار وأحيانا غيابهم عن اللحظات المهمة، في حياة الطفل.

ويعيش الطفل هذا النقص، في سن المراهقة، في شكل هشاشة ونقص إسناد الأولياء له، ويحاول هؤلاء الأولياء، التشديد في مواقفهم مع ابنهم المراهق، ولكن بدون جدوى، لأنه لا يصدقهم أولا يفهمهم.

- عندما يكون الآباء غائبون(**عمل، تنقل، انفصال ...الخ**) تنتقل السلطة التربوية إلى الأم.

- قد يصحب نقص السلطة بفرط حماية، حيث يبقي الولي على تبعية طفلة به، من خلال الانشغال الدائم به، والمخاوف والعيش في جو محفوف بالخطر. وينتج عن هذا عدم استقلالية الطفل ويصبح الانفصال عن وليه أمرا مستحيلا أو يصحب الانفصال بقلق كبير.
- نفي كل ولي لسلطة الولي الآخر وهذه ظاهرة تربوية شائعة ويتجلى ذلك في أمرين: الأمر الأول أن الأب والأم لا يتصوران أن لكل واحد منهما الحق في اختلاف وجهات النظر وحتى في المعارضة أثناء تربية ابنهما؛ فيتظاهران أمام ابنهما، بنفس الآراء والقرارات وهذا غير ممكن واقعيا، فالطبيعة تستوجب أن يكون هناك تمطان مختلفان من السيطرة؛ والطفل هو الذي يقوم بعملية التركيب والتوليف والربط و الاختيار، وهو الذي يتحمل المسؤولية بنفسه[48].

إن الفرو قات بين الأولياء، سواء على مستوى الإحساس أو الشخصية، هي التي تعطي ثراء في النسق التربوي، والأمر الثاني، أن الولي ينتقد بكيفية تهديمية، مواقف الولي الآخر، فمثلا كثير من الأمهات يلغين السلطة الأبوية، لعدم فهمهن أو عدم احترامهن لهذه السلطة، ويأخذن الحق في الحكم على الزوج وإلغائه[49].

وقد تطرق الكثير من المحللين النفسيين إلى هذه الظاهرة وخاصة المحلل النفسي واللغوي **الفرنسي جاك لاكان** (Jacques Lacan) الذي سمي هذه الحالة بـ "**النبذ**"(Forclusion)

- قد يُستخدَم الطفل ويصبح طرفا في المشاكل الزوجية، مما يضعف التربية الأسرية. فأثناء النقاشات الزوجية، يفقد الزوجين قوتهما التربوية وقدرتهما على تأمين الطفل، وهذا الأخير يصبح موضوعاً للاستفزاز والتملك.
- تؤدي تغيرات الأولياء أيضا إلى مشاكل عديدة. فالأولياء يتغيرون طبيعيا **(الشيخوخة العمرية)** وظرفيا **(شيخوخة الزواج)**، وبالتالي فمن حقهم أن يغيروا في مواقفهم واختياراتهم وآرائهم، ويحتاج الأطفال إلى تفسير، لهذه التغيرات ومبرراتها. إن كثير من الأولياء لا يرجعون في أقوالهم، خوفا من ظهور التناقض عندهم. وبالتاليفهم يصبحون عرضة لنقد الأبناء، رغم أن قوة السلطة تكون مع صدق الأولياء، ومن الأحسن أن يوضح الأولياء نقاط ضعفهم، بوضوح عوضا من محاولة مخادعة الطفل بحيل تربوية.

ز) حب الآباء المرضى للأبناء أو الآباء النرجسيون:يعاني الآباء الذين يحبون أبنائهم حبا نرجسيا، من نقص في النضج الوجداني، أي أنهم مازالوا صغارا من الناحية الوجدانية. ونقصد بالآباء النرجسيين الذين يريدون إشباع حاجاتهم، من خلال استعمال أبنائهم كواجهة لذلك.فمثلا الأب الذي لم يتعلم ولم يصل إلى درجة علمية كبيرة، يحاول أن يحصل على ذلك بإرغام ابنه على الدراسة وفق أطر تختلف عن كفاءات ورغبات هذا الابن.

فالأب النرجسي لا يهتم بابنه في حد ذاته وإنما يهتم به، بمقدارما يشبع له نرجسيته. ويحلل مصطفى زيور شخصية هؤلاء الآباء، فيرى أن حب الآباء النرجسيون لأبنائهم هو حب أناني، ونرجسي، ويسبب هذا الحب اضطرابا في النمو السوي للأبناء؛ فتظهر عندهم مشاعر الكره تجاه آبائهم[50].

5-3) اضطرابات التنشئة الاجتماعية:

تكون التنشئة الاجتماعية سوية عندما تؤدي كل المؤسسات الاجتماعية المسئولة عنها، وظيفتها على أحسن وجه، وإذا اختل توازن واحدة من هذه المؤسسات اعتلت التنشئة وظهرت فيها أخطاء ومضاعفات على الأفراد، فيكبرون مضطربين نفسيا وسلوكيا ويظهر عندهم القلق،وتكثر عندهم الإحباطات والتوترات.

إن أخطاء التنشئة الاجتماعية كثيرة وتحصرها "**حنان عبد الحميد العناني**"[51] فيما يلي:

- الحرمان من العناية.
- إشعار الطفل بأنه غير مرغوب فيه.
- الإفراط في التسامح والتدليل.
- صرامة الأولياء وتسلطهم.
- انصراف الأولياء عن أبنائهم.
- ترك الطفل للخادمات يعنين به لوحدهن.
- تضارب اتجاهات الوالدين في تربية الأطفال.
- التفكك الأسري والخلافات الأسرية أمام الأولاد.

5-4) مضاعفات الأساليب التربوية الوالدية الخاطئة:

يرى كثير من المحللين النفسيين أن الحرمان العاطفي المبكر والعنف الممارس مبكرا جدا، من طرف الأب، يؤدي إلى ظهور اضطراب في التقمص ونقص في البناء الرمزي[52].

ومن جهته يرى "**رينيهسبيتز**"(R. Spitz) أن الأطفال المحرومين من الحب سيصبحون راشدين مملوئين بالكره[53]. كما تنمو عندهم مشاعر العدائية وتزيد الغيرة والحقد و الإحساس بالذنب[54].

وتذكر "**زينب محمد شقير**" تلك المضاعفات، حسب أسلوب التربية المتبع من طرف الأولياء كالتالي:

أ)مضاعفات القسوة والتشدد:

- خلق شخصية ضعيفة عند الطفل.
- تأخر النضج الانفعالي.
- عدم القدرة على الاعتماد على الذات.
- ممارسة السلوك الانحرافي (تشرد، انحراف، إجرام... الخ).

ب)مضاعفات التدليل:

- عدم النضج الانفعالي.
- اللامبالاة عند الطفل.
- العدوانية والعنف.
- الإهمال وعدم الطاعة.
- ظهور بعض الاضطرابات النفسية: تبول لا إرادي، قضم الأظافر، البكاء النحيبي .

ج)مضاعفات الرفض وعدم التقبل:

- عدم إشباع الطفل لحاجاته إلى الانتماء والحنو.

د)مضاعفات الحب الكاذب للطفل:

- يتظاهر الطفل أنه سعيد بحب والديه الكاذب له.
- يتعلم التصنع وإخفاء المشاعر.
- يتعلم إظهار عكس ما يبطن.

هـ)مضاعفات التبادل الكاذب: توجد علاقة جيدة سطحيا لكنها سيئة في العمق.

- يشعر الطفل في ظل الأسرة بالسعادة والحب، لكنها تكون في معظم الحالات ستارا للتفاعلات الخاطئة.

و) مضاعفات المثلث غير السوي: يقوم الأولياء بإسقاط صراعهم على الأبناء.

- يتحمل الطفل الصراع الموجود بين والديه، ويصبح هو الذي يقوم بالدور المسئول والموضوعي والملتزم (**تنعكس الأدوار حيث يتخذ الوالدان دورا طفوليا نكوصيا**)، ويصبح على الطفل أن يتسامح مع والديه، وأن يقدر ظروفهما.

- يقع الطفل في المرض بسبب ،إنهاك مصادره الوجدانية والانفعالية.

ز)مضاعفات النقد الزائد:

- يصبح الطفل عديم القيمة.
- يفقد الطفل ثقته في نفسه.
- يصبح بطيء الاستجابة للمثيرات التي حوله[55].

5-5) العلاقة بين الأسلوب التربوي الخاطئ والانحراف:

أظهرت العديد من الدراسات أن التربية الأسرية الخاطئة هي من أهم العوامل المؤدية إلى الانحراف والإجرام[56].

ومن الأساليب التربوية الخاطئة قسوة الأولياء على أبنائهم والتشدد في معاملتهم ورفضهم وعدم تقبلهم واللامبالاة بهم وفرط تدليلهم.

وهذه الأساليب التربوية الخاطئة ترجع في غالبيتها، إلى عدم نضج الأولياء انفعاليا ووجدانيا وجهلهم بأساليب التربية السليمة وتكرارهم للأسلوب التربوي الخاطئ الذي نشئوا عليه.

5-6) القيم الأسرية والانحراف:

يعد انهيار القيم الأسرية من أهم العوامل الاجتماعية المولدة للانحراف، ومن مظاهر هذا الانهيار القيمي الأسري: انحراف الأب أو الأم أو كلاهما أو انحراف الأخ الأكبر أو الأخت الكبرى ويتميز هذا النوع من الأسر ، بفقدان المثل العليا واختلال المعايير الاجتماعية وانعدام القيم الخلقية وتصبح السلوكات اللّاسوية، من انحراف وسوء أخلاق، مقبولة داخل هذه الأسر بل وُيشَجَّعْ الأطفال عليها[57].

شددت الدراسات التي أجريت حول "**التنشئة الاجتماعية**" على تأثير مختلف الأنساق المعيارية والمرجعية ونماذج سلوك المجتمع ،على تكوين شخصية الأطفال. يتعلم الطفل ويستدخل قواعد السلوك التي تنظم تفاعلاته مع الآخرين.حيث تتجدد الأنساق المعيارية من خلال الجماعة الأسرية. وذلك من خلال الكيفية التي تعيشها هذه الجماعة بالملموس والممارسات التي تكتشفها باستمرار.

عندما يولد الطفل يجد نفسه في جماعة لم يخترها، وهي جماعة تنتمي بدورها إلى سياق اجتماعي وثقافي يحدد ظروف وجودها ويعين وضعها بالنسبة للجماعات الاجتماعية الأخرى. ويقترح هذا السياق ،على الطفل عددا من القيم والنماذج التي توجه تصرفاته.

لا يتحصل الطفل على كل ثقافة مجتمعه الذي ينتمي إليه مرة واحدة بل يحصل فقط على فرع منها، ويشكّل مضمون هذه الثقافة بالتكامل أو التعارض مع الجماعات الأخرى[58].

ان الأسرة هي أول تجربة اجتماعية للطفل، تستلزم تخصص في الأدوار والتوقعات المرتبطة بهذه الأدوار. الأسرة أيضا هي نسق معياري مرتبط بالنسق الاجتماعي والثقافي السائد، ويسير هذا النسق العلاقات بين أعضائه والخارج.

والأسرة هي غشاء وقاية من الخارج وهي أيضا قناة لانتقال عدد من القيم والمثاليات وأنماط التفكير والفعل السائدة في المجتمع[59].

ويظهر انهيار القيم عندما يهمل الفرد القيم، التي تربى عليها ،خاصة القيم الدينية والأخلاقية، مما يتولد عنده صراع نفسي ما يلبث أن ينتهي به إلى واحد من السلوكيات التالية:

- الانسحاب أو العزلة أو الانطواء أو الهجرة.
- الاستسلام إلى الملذات والماديات، تحت شعار (الغاية تبرر الوسيلة).
- التمرد على الواقع: فتظهر الجريمة، والانحراف، والعدوانية، والإدمان.
- تفكك الأسر وتحلل الروابط الأسرية ونقص التماسك والوئام والانسجام الأسري[60].

يتدهور نسق القيم عندما يحدث اختلال في التوازن، بين مضمون القيم المثالية وبين ما هو موجود على أرض الواقع. حيث يعيش الأفراد أزمات وصراعات نفسية شديدة، نتيجة التباين الشاسع، بين ما عرفوه وتعلموه عن القيم وبين ما وجدوه مجسدا أمامهم في الواقع من انعدام للقيم أو عدم امتثال الأفراد لها. ومن المواقف التي تؤدي إلى تدهور أنساق القيم نجد: الحروب والكوارث والتغير الاجتماعي الفجائي الذي يعرفه مجتمع أو جماعة اجتماعية معينة.

الهوامش والمراجع:

1- الفيروز أبادي، القاموس المحيط. ج1. دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1997، ص. 267.

2– المنجد في اللغة والإعلام. دار النشر الأهلية، بيروت، 1982.

3– قانون الإجراءات الجنائية. ط2، منشورات دار بارتي، الجزائر، 2002.

4– جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية. المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، 2001، ص. 21.

5– الماوردي، الأحكام السلطانية. ط2، مطبعة البابلي الحلبي، 1968، ص. 192.

6 – M.Born,La psychologie de la délinquance.éd de bœck et larcier s.a,Bruxelles,2003,p. 21.

7– سامية محمد جابر، سوسيولوجيا الانحراف. دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، 2004، ص. 543.

8– جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 19.

9– نفس المرجع، ص. 83.

10– مصلح الصالح، النظريات الاجتماعية المعاصرة وظاهرة الجريمة في البلدان النامية.مؤسسةالوراق،عمان، 2000، ص. 32.

11– M. Born, Op.Cit, PP. 20, 21.

12– جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 24.

13– جعفر عبد الأمير الياسين، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. دار المعرفة،بيروت، 1981، ص. 33.

14– نفس المرجع، ص. 34.

15– جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 23.

16– أنور محمد الشرقاوي، انحراف الأحداث. ط3، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 1986، ص. 30.

17– جعفر عبد الأمير الياسين، مرجع سابق، ص. 31.

18– نفس المرجع، ص. 32.

19– عدنان الدوري، جناح الأحداث المشكلة والسبب.ذاتالسلاسل،الكويت، 1985، ص. 28.

20– الشيخ كامل محمد عويضة، مشكلات الطفل. دار الكتب العالمية،بيروت، 1996، ص. 133.

21 – P.Hanigan, La Jeunesse enDifficulté.Presses de l’université du Québec,Québec, 1997, PP.

205-236.
22- Ibid, PP. 219-222.
23–P.Hanigan, 'Le Passage de l'école au Travail et la Délinquance) in Apprentissage et socialisation, vol 2, n° :2, 1979, PP. 69-73.
24- M. Cusson, DélinquantsPourquoi ?Hurtubise-HMH, Montreal,1981, in P. Hanigan, op.cit, P. 220.
25- Patricia Hanigan, op.cit, P. 227.
26- D.J. West et D.P. Farrington, The delinquent way of life.Heineman, Londres,1977, P. 157, in, P.Hanigan, op.cit, P. 228.
27– M.Born,op.cit p. 35.
28– H. Bee, Psychologiede Développement. éd de bœck et larcier s.a,Paris-Bruxelles,1997,p . 294.
29 - Ibid, P. 295.
30– جليل وديع، أمراض المجتمع، الأسباب، التفسير، الوقاية والعلاج، الدار العربية للعلوم،بيروت،1997 ص. 52.
31– نفس المرجع، ص ص. 53–57.
32– P.Hanigan, op.cit, P. 197.
33- Ibid, P. 197.
34- R.Ross et E.Fabiano, Réhabilitation of Young OffendersThrough Cognitive Training : Research and Practice acte du colloque scientifique "l'intervenant, la clientèle, l'approche rééducative", Fondation cité des prairies, Montreal,1988, PP. 236-239 in Patricia Hanigan, op.cit, P. 198.
35- F.Redl et D.Wineman, L'enfant Agressif. T.1,Fleurus,Paris, 1971, PP. 169-234.
36- Ibid, P. 174.
37 - Ibid, PP. 176-187.
38- Ibid, P. 187.
39- Ibid, PP. 188-198.
40- Ibid, PP . 199-205.
41– P.Hanigan, op.cit, P. 199.
42– M. Despinoy, Psychopathologie de L'enfant et de L'adolescent. Armand Colin,Paris, 1999, p.168.
43– M. Born, op.cit, P. 60.
44– حنان عبد الحميد عناني، الطفل والأسرة والمجتمع، دار الصفاءللنشر والتوزيع،عمان، 1994، ص ص. 68–71.
45– M. Born, Op.Cit, P. 60.
46- P. Canoui, P. Messerschmitt, O. RamosPsychiatrie de L'enfant et de L'adolescent,Maloine,Paris, 1994, p. 310.
47- Ibid, P. 311.
48- Ibid, P. 311.
49- Ibid, P. 311.
50– سهير كامل أحمد، دراسات في سيكولوجية الطفولة ، مركز الإسكندرية للكتاب،الاسكندرية، 1998، ص ص. 53–55.
51– حنان عبد الحميد العناني، مرجع سابق، ص. 28.
52- Dictionnaire Fondamental de la Psychologie, T1 (A à K).Larousse-Bordas,Paris,1997,p. 41.
53- Ibid, P. 41.
54– محمد علي قطب الهمشري، وفاء محمد عبد الجواد، مشكلة الأطفال الجانحين. مكتبة العبيكان،الرياض، 2000، ص ص. 30–43.
55– زينب محمد شقير، الباثولوجيا الاجتماعية والمشكلات المعاصرة ، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 2001، ص ص. 99–104.
56– جمال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، مرجع سابق، ص. 67.
57– نفس المرجع، ص. 67.
58– V. Aebischer, D. Oberlé,Le groupe en psychologie sociale.2eme Ed,Dunod,Paris,1998 , p. 41.
59- Ibid, P. 42.
60– جليل وديع، مرجع سابق، ص. 41.